

اليهودي القديم الذي كان يمهش على صلة بالطبيعة دون وعي تاريخي او اخلاقي ، بل وما أبوللو سوى اله اليهود الذي قاد شعبه الى أرض كنعان :

وأنتيك البك ، أنتيك ايك لاسجد امام تمثالك وصورتك — يارمز تألق الحياة ،
أسجد وأنحنى أمام الخير والسمو ، ولكل ما هو مجيد في هذا العالم ، لكل ما هو رائع بين المخلوقات ،
ولكل ما هو متسام في ديانات الكون البدائية ، انني انحنى للحياة ، وللبسالة والجمال ،
انني انحنى لكل الاشياء الثمينة — التي سرقتها الان الجثث الحية والذرية العفنة ،
الذين يثورون على الحياة التي منحنا اياها الله القادر ، رب البرية المليئة بالاسرار ،
رب الرجال الذين غزوا أرض كنعان كالعاصفة ، ثم قيدوه بأغلال تعاويذهم .

ان تصور تشرنحوفسكي لليهودي الجديد مبني على أسطورة لا تختلف في غيبيتها ولا في انسانيته عن الاساطير اليهودية القبلية القديمة التي يدعي الشاعر انه يرفضها . كما
أن الهه القومي العلماني ، اله الاغراج والحياة اليهودية الجديدة ، لا يختلف في تعطشه
لدم الجوييم عن اله باروخ الذي يتلذذ برؤية هلاك الابرياء .

الغربة في أرض الميعاد

هاجر تشرنحوفسكي مع من هاجر من الصهاينة الى فلسطين ، واستقر فيها ، وكتب
تصائد تؤيد الغزو الصهيوني لأرض كنعان . كما أسهم في الدعاية الصهيونية بشكل
واضح ، ولكنه على الرغم من ذلك كانت تمر لحظات يخامر فيها الشك من كل هذه
الضوضاء . وقد عبر عن هذا الشك في قصيدة تسمى « ليس لي شيء يخلصني » ، ولعل
من المفيد ان نذكر ان القصيدة كتبت في القدس عام ١٩٣٩ ، وهي تعبر عن أحساس
خامر بالغربة .

ليس لي شيء يخلصني — ولا حتى مائدة ، واحيانا حينما تنسج اللحظة الواهنة الشاحبة
خيوط المنكبوت حول روحي المقلقة ، في الليالي الرهيبة ، او في منتصف الليل الساكن ،
حينئذ يبدأ قلبي — الذي سام أكاذيب الفوغاء — في الصلاة من اجل لسة يد رقيقة .
وفي حجرته في القدس يستمر الشاعر في التأمل :

داخل اربعة حيطان غرفة ليست لك ، حيطان احتكت بها اجساد الغرباء ،
مغرين ألوانها بنظراتهم ولمساتهم ، أيديهم صقلت المزلاج ، وجعلت مقبض الباب لامعا ،
نسج المنكبوت بيته فوق المدخل الحزين ، فوق التراب الذي خلفه الغرباء ، والذي يحكي عن رغبات الاخرين
واذواقهم ،
خيوط المنكبوت غظة وقبيحة ، والغرفة ليس فيها اي شيء — تبحث عنه عيونك بوله ... لا ولا يوجد فيها
أي تذكارات سعيدة ،

يؤنسك برموزه ، ويلمح لك بالنور والصوت . كما اعرف هذا ايضا : انني لن ابنتي ابدا
بيتا ، لا ولن امتع ناظري برؤية الممول الذي يضرب الصخر ، او بالارض التي تظهر عريها لكي ترسى الدعائم .
لا ولن ابارك كل طوبة كلما ارتفع الحائط ، لا ولن يشدو قلبي حينما يشيد السقف القوي .
ويستمر الشاعر في سرد الاشياء التي لن ينالها في حياته : فهو لن يمكنه ان يغرس
شجرة او يرويهها ، كما لن يمكنه ان يجني ثمرها :

لقد تجولت طيلة حياتي ، وربما سأستمر في التجوال ،
ولهيكلة الارض ليست من نصيب التجول ، انها ليست من نصيبي .
وحينما يتعرف الشاعر على لا جذريته وعلى هويته كجوال ابدي يقول :
حيث ان هذه المائدة ليست لي ، فلنضع عليها شيئا امثلكه كلية ، شيئا يظل معي أينما ذهبت .
هذا الشيء هو تمثال من حجر : رمز لرغبته العارمة في شيء من الثبات والديمومة ،